

2012

فناء الاناء في الذات الاجتماعية في معارك الجواهري مع الطغاة

د. جلال عبد الله خلف
جامعة ديالى

Follow this and additional works at: <https://digitalcommons.aaru.edu.jo/midad>



Part of the [Islamic Studies Commons](#)

Recommended Citation

"فناء الاناء في الذات الاجتماعية في معارك الجواهري مع الطغاة", *Midad AL-Adab Refereed Quarterly Journal*: Vol. 2 : Iss. 1 , Article 7. (2012)

Available at: <https://digitalcommons.aaru.edu.jo/midad/vol2/iss1/7>

This Article is brought to you for free and open access by Arab Journals Platform. It has been accepted for inclusion in Midad AL-Adab Refereed Quarterly Journal by an authorized editor. The journal is hosted on [Digital Commons](#), an Elsevier platform. For more information, please contact rakan@aarj.edu.jo, marah@aarj.edu.jo, u.murad@aarj.edu.jo.

فناء الأنا فلي الذات الجماعية
فلي معارك الجواهر لي مع الطبيعة

د. جلال عبداللہ خلف

جامعة ديالى

فناء الأنا في الذات الجماعية في معارك الجواهري مع الطغاة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

خلافًا على سنن الشعراء، وعلى عكس ما يشتهي منطق الشعر، حطّ الجواهري بعقريته الشعرية على مملكة الشعر والشعراء؛ ليؤسس على أنقاضها مملكة الصعاليك في القرن العشرين، لينصب من نفسه سلطان من لا سلطان له، متأسيا في ذلك بأبي الفقراء: (عروة بن الورد) معلنا بذلك عن انبلاج فجر جديد في عالم الشعر، وهو الشعر الثوري المتسم بالتمرد على كل ألوان الظلم الاجتماعي على وفق أيولوجية لا تؤمن بالمصانعة والمداهنة. بذلك يعد الجواهري فيلسوفا ثائرا في ثوب شاعر، أراد أن يقيم بقوة الكلمة، وباحتجاج الحرف، وثورة الشعر في شعره الثوري، جمهورية أفلاطون على أرض الرافدين، فقد كان حاضرا مع الجماهير في جميع معاركه ضد الظلم والجور والتعسف أيّا كان مصدره ((عاش الجواهري على مدى القرن العشرين كله، وفي خضم أحداثه العراقية والعربية والعالمية الكبرى، نرى كيف أنّ هذا الشاعر المغامر والمخاطر كان متفاعلا وفاعلا في الأحداث مشدودا كالوتر بوجه الريح والعواصف، فإذا اشتعل اللهب العاصف قذف بنفسه إلى المعركة والمجابهة وسط أمواج المتظاهرين، إن الشاعر المبدع يظل وبحسب قول (مارون عبود) مبدعا وفنانا أصيلا حتى ولو كان في قاع جهنم، فكيف إذا كان في خضم المعركة بين الناس ومعهم من أجل انتشالهم من مستنقع التخلف))^(١) لقد نبذ الجواهري عن نفسه حياة الخمول، فهو قرين المتنبي وشبهه وابن كوفته الحمراء، ((وقد فرض على ذاته فلسفة فيثاغورية رواقية مصهورة في بوتقة فكرية مليئة بالتناقضات كثيرة الحسنات يحذو حذو بابك الخرمي وزعماء القرامطة في قود الجيش،

(١) نبوة الشاعر: زهير الجزائري: ٥٠.

لو أن مقاليد الجماهير في يدي
لما كنت بأوطاني سبيل التمرد
إذن علمت أن لا حياة لأمة
تحاول أن تحيا بغير التجدد

(٤) الأعمال الكاملة: الجواهرى: ٢: ٢٣٩.

فناء الأنا في الذات الجماعية في معارك الجواهري مع الطغاة

لو الأمر في كفي لأعلنت ثورة على كل هدام بألفي مشيد
وهل أنا إلا شاعر يرتجونه لنصرة حق أو للطمة معتي
وعندي لسان لم يخني بمحفل كما سيف عمرو لم يخنه بمشهد
أما في قصيدة (المحرقة) ^(١) يضع النقاط على الحروف بشكل أوضح،
حيث يقول فيها:

وليس بحرّ من إذا رام غاية تخوّف أن ترمي به مسلكا وعرا
وما أنت بالمعطي التمرد حقه إذا كنت تخشى أن تجوع وأن تعري
وهل غير هذا ترتجي من مواطن تريد على أوضاعها ثورة كبرى
أما في قصيدة (هاشم الوتري) ^(٢) نراه أشد جرأة وأكثر صراحة حيث
راح يحمل جهارا على رموز السلطة الحاكمة دون خوف أو وجل، إذ يقول:
أنا حتفهم ألج البيوت عليهم أغري الوليد بشتهم والحاجبا
أنا ذا أمامك ماثلا متجبرا أطأ الطغاة بشسع نعلي عازبا
وأطّ من شفّتي هزءا أن أرى عفر الجباه على الحياة تكالبا
آليت أقّحم الطغاة مصرّحا إذ لم أعود أن أكون الرائببا
والأرض تعمر بالشعوب فلن ترى بوما مشوما يستطيب خرائببا
وفي قصيدة (طرطرا) ^(٣) خرق الجواهري حدود ما تبقى بين المحظور
ليبيح لنفسه ما لا يباح لغيره، فراح يستهزئ - وبأسلوب (كاريكاتوري) -
بالأوضاع القائمة آنذاك حيث يقول:

(١) الأعمال الكاملة: الجواهري: ٢: ٢٦٨.

(٢) المصدر نفسه: ٣: ٥٦٦.

(٣) المصدر نفسه: ٣: ٤٣٨.

فناء الأنا في الذات الجماعية في معارك الجواهري مع الطغاة

أين أنت يا سارتر؟ الآخرون ليسوا بجحيم^(١)
فصراحة الجواهري كانت مستمدة من الجماهير التي أمست له سورا
تدافع عنه وتحميه من الخطوب و الكروب، وقد وجه الدكتور (الطاهر) سؤالاً
إلى الجواهري مفاده:

((- كم تستطيع أن تكون صريحاً؟
عندما أفكر أنني أسير مع الناس، خضت معارك وإيّاهم، إنني لم
أفصر مع الناس بأقصى قدر وبكل معنى الكلمة إلا الموت فإنه يزول))^(٢) .
لقد أحبّ الناس فأحبوه، وقاتل من أجلهم فوقفوا معه، وقد كان يفتخر
بمواقف الناس له والتي منحتة حصانة منعت الأيدي الأثيمة من أن تتال منه،
وقد سئل الجواهري في إحدى المقابلات معه:

((- هل أجبرت على الرحيل؟ هل كنت ملاحقاً؟ أكنت مهدداً بالسجن؟
لم أسجن أبداً في حياتي إلا مرة واحدة ولمدة شهر فقط، الأمر الذي
أثار ضجة في البرلمان، لقد أوقفت شهراً وأضطر الحاكم أن يحكم عليّ

(١) حوار مع الجواهري: حميدة نعناع: مجلة الآداب: ٦. العدد الثاني عشر:
بيروت: ١٩٧٨.

(٢) حوار مع الجواهري: د.علي جواد الطاهر: ٤٣. مجلة الكلمة. العدد الثاني لسنة
١٩٧٢.

((فهو في ذلك نقيض المتنبي الذي أعلن مراراً براءته من قومه حيث قال:
وما أنا منهم بالعيش فيهم ولكن معدن الذهب الرغام
وقال أيضاً:
ما مقامي بأرض نخلة إلا كمقام المسيح بين اليهود

7

فناء الأنا في الذات الجماعية في معارك الجواهري مع الطغاة

ولما كان الجواهري يحمل بين جنباته قضية إنسانية عادلة نذر نفسه لها، وتحمل الولايات في سبيلها، هوته قلوب الإنسانية المعذبة التي طالما وجدت في أولئك المتمردين من أمثال (الجواهري) آمالا للخلاص من الظلم الاجتماعي من كبت وقمع وتزمت وتسلب واضطهاد، فلا عجب إذا أن يحاط هذا المارد بآيات الود والاعتزاز من قبل شعوب غير عربية، وأن تتعدى شهرته خارج حدود الوطن العربي يقول البقيلي: ((فوجئت بأربعة من الروس يستوقفونه في الطريق ليسألوه: هل نحن أمام الشاعر الجواهري وفي كل مرة كان يصيب الطرب أبا فرات وكأنه حصان يرقص طربا))^(١). ومن هذا النص يتجلى لنا بأن صرخات الجواهري في وجوه قوى الشر كانت تتناغم تماما مع أوتار قلوب المضطهدين في الأرض ((فصوت الشاعر لا يظهر في خضم ذلك وحيدا، إنه وقد تبني النزوع الثوري يتداخل بصوت الجموع التي يستلهم منها روح الشعر ولأجلها يناضل بالشعر أيضا))^(٢) ففي قصيدته (المقصورة)^(٣) أشار الجواهري إلى الأصوات الملتحمة مع صوته المتمرد في معاركه المتكررة بالغدو والأصال قائلا:

ورغم القلوب التي تستفيض عطا تحوطك حوط الحمى
وتلتف حولك شتى النفوس تجيش بشتى ضروب الأسى

(١) الجواهري.. ذكريات أيامي: فاروق البقيلي: ٦.

(٢) تجليات الرقص بين رؤيتين شعريتين: دنادية العزاوي: ٦.

(٣) المقصورة من مختارات قصائد الشاعر، وقد نظمها في أواسط عام ١٩٤٧ ونشر قطعا منها في أمهات الصحف العراقية. وفي العدد ١٩١٠ في ١١ آب ١٩٤٨ من جريدة (الرأي العام) ومن المؤسف أن يكون جزء كبير منها يزيد على مائة بيت قد اطارته الرياح وألقته في دجلة في أثناء اشتغال الشاعر بتنقيحها خلال صيف عام ١٩٤٧ حيث كان يسكن دار مظلة على النهر. ونشرت في ط ٥٣ ج ٣: و ط ٦٠ ج ١ و ط ٦٨ ج ١.

وتعرب عنها بما لا تبين كأنك من كل نفس حشا
فأنت مع الصبح شدو الرعاة وحلم العذارى إذا الليل جا
أحت بشعرك للبائسين بداجي الخطوب بريق المنى
وتطوي الضلوع على نافذ من الصبر يدمي كحر المدى

وكان لا بد أن تترك هذه الرؤى بصماتها على لغة القصيدة إذ تهيمن ألفاظ الجمع على قصيدة الجواهري وبواقع (٧٣) لفظة أحصتها الدراسة هي: أنوف، كرام، الدنى، النفوس، ضروب، الرعاة، العذارى، البائسون، الخطوب، المنى، شوك، جمر، الغضى، الضلوع، المدى، الأخبثون، زقاق، الخطى، أشباح، الورى، ناس، قادة، الأرذلون، الصلال، الفلاة، الرمال، الجلود، بنات، الجباه، فوارق، أبناؤه، أتراب، النفوس، ذوات، العصور، المغريات، أحضانه، الجموع حواشيه، هضبات، السعفات، الطوال، الشجر، أعذاق، سعف، الكرب، الصبايا، الملاح، أضواء، طيات، عيون، المها، الصدور، الشفاه، بيض الطلى، غلاظ الرقاب، قباح الوجوه، خباث الكلى، جاعلات، صبية، شبيخة، الجن، الصخور، جمعهم، النجوم، أذياه ((الكلمات الجواهري أصداء جماهيرية مشهودة توازن بين الفنية الشعرية العالية وبين الموقف المطلوب الذي ينهل من حركة الشارع صدقه وتدفعه وتجلياته))^(١) فكان يرى في الناس كعبته، وفي الجماهير ضالته، وكلما نزلت به نازلة أو حلت به ضائقة هرع إلى أحضانههم، والعكس بالعكس على نقيض سيرة الشعراء الآخرين الذين كانوا ينحازون إلى سلاطينهم في أزمت شعوبهم، كما كان شوقي قبل منفاه، ومما يجدر ذكره والتنبؤ به إليه هو أن قصائد الجواهري الذاتية كانت ترمي في أبعادها إلى الذات الجماعية المتمثلة في

(١) آخر الشعراء العباسيين في القرن العشرين، لامع الحر، ٢٤، سمفونية الرحيل: د.خيال الجواهري.

فناء الأنا في الذات الجماعية في معارك الجواهري مع الطغاة

شخصية الجواهري وقد كان يشير إلى ذلك في مناسبات مختلفة بقوله ((أنا العراق))^(١)، ويذكر أنيس منصور قيل لي لم تر العراق ما لم تر الجواهري، فقد كان الجواهري يمثل هموم الطبقات المقهورة في العراق، يقول الجواهري: ((حياة كل شاعر يعيش مشاعره بأفراحها وأتراحها فضلا عن أنه وجد ليكون وكأنه مكلف بمشاعر الآخرين وأفراحهم وأتراحهم))^(٢) فمثلا في قصيدة (أخي جعفر)^(٣) التي يقول فيها:

أتعلم أم أنت لا تعلم	بأن جراح الضحايا فم
فم ليس كالمدعي قوله	وليس كآخر يسترحم
يصيح على المدقعين الجياع	أريقوا دماكم تطعموا
ويهتف بالنفر المهطعين	أهنوا لئامكم تكرموا
يقولون من هم أولاء الرعاع	فأفهمهم بدم من هم
وأفهمهم بدم أنهم	عبيدك إن تدعهم يخدموا
وأنتك أشرف من خيرهم	وكعبك من خدّه أكرم

إن هذه القصيدة وإن كانت في رثاء أخيه جعفر إلا أنه كان يرثي كل الشهداء عبر التاريخ وهو من باب الخصوص الذي يريد به العموم، أو هو من قبيل الخاص الذي امتزج بالعام حتى أصبحا شيئا واحدا ((لقد التحم

(١) ((أما الذي سيتغير ويتكيف فهو الموقف: من الخاص إلى العام في الصراع دفاعا عن الذات إلى الصراع دفاعا عن الشعب ملخصا في بيت قاله عام ١٩٥٧ (في ذكرى المالكي):

أنا العراق لساني قلبه، ودمي فراته وكياني منه أقطار

(٢) مذكراتي: محمد مهدي الجواهري: ج ١: ١٢١.

(٣) الأعمال الكاملة: ٣: ٥٠٢.

وهذا يعكس حقيقة لا مرء فيها وهي أن العراق والجواهري صنوان.)) (وإذا جاز لنا أن نتصور العراق بلا رافديه، بلا ضفاف أنهاره، بلا نخيله، بلا جباله ووديانه وبواديه، جاز لنا أن نتصور العراق بلا شاعره الجواهري وإذا أردنا أن ننفي اعتباطا الشجاعة والجرأة والتحدي والسماحة والتطامن عن العراقي جاز لنا أن نقف موقف اللامبالاة من الجواهري وشعره))^(٢) وليس من اليسير أن تدين الجماهير بالسمع والطاعة لشاعر مثل الجواهري ما لم تلتمس منه صدق الشخصية، وعدالة القضية، بل وقد أدركت الجماهير يقينا لو أن خسارة وقعت في شخص الجواهري لخسرت هي قضيتها ورسالتها كما وعى الجواهري نفسه تلك الحقيقة ((ولكن الخسارة لو وقعت في مغامرة المتنبّي فإنها لا تزيد على النهاية الحتمية المؤجلة: موت إنسان ما، بينما تكشف قصيدة الجواهري عن أشكال أخرى من الموت داخل الحياة، الموت الروحي والقيمي والرمزي المترتب على نكوص البطل، ففشله إذان بتداعي الرسالة وضياع آمال الجموع الملتفة من حوله))^(٣) يقول الجواهري:

تسامى فإنك خير النفوس
إذا قيس كل على ما انطوى

وأحسن ما فيك أن الضمير
يصيح من القلب: إنى هنا

(٣) تجليات الرفض بين رؤيتين شعريتين: ٨.

فناء الأنا في الذات الجماعية في معارك الجواهري مع الطغاة

تسامى فإن جناحيك لا	يقران إلا على مرتقى
بآية أن يد المغريات	تهابك إلا كلمس الندى
وإنك أن يلتمع مطمع	يُخاف على الروح منه العمى
يموت النبوغ بأحضانه	ويُنعى به الأمل المرتجى
وتمشي الجموع على ضوئه	لتبكي على عبقرى قضى
وكادت تلفك في طيها	حواشيه...ردك عزم قضى ^(١)

إن الشاعر يعيش حالة من الصراع الداخلي بين السقوط أو التمرد وهي لحظة توتر تتوسط مرحلة اتخاذ القرار الحاسم والنهائي، وخوفاً من السقوط في وحل الاستسلام، ومن ثم ضياع رسالة الأمة نجده يكرر فعل الأمر الداعي إلى (السمو) كي ينفث في روعه روح الثبات والإقدام، حتى حان وقت القرار النهائي في آخر بيت من الأبيات السالفة، فحسم الموقف لصالح الجماهير ((ردك عزم قضى))

إن الشاعر الجواهري قد جعل من نفسه وكأنه نبي مرسل إلى هذه الأمة مكلف بتبليغ رسالة إنسانية فيصدع بما أمر به، ويجهر بما آمن، لا يخشى في دعوته لومة لائم، ولا في معاركه صولة جائر، فما يخرج من معركة حتى يخوض غيرها، وإذا هذّ التعب وأعياه النصب ركن قليلاً إلى الراحة ثم تراه ينتفض كالأسد زاجراً نفسه ومؤدباً إياها بأن ليس من طبع الكماة الخمول، وكم من مرة عنف الجواهري نفسه قبل أن يعنف الآخرين، كما في قصيدة (خلفت غاشية الخنوع)^(٢):

(١) من قصيدة (المقصورة)، ينظر: الأعمال الكاملة: محمد مهدي الجواهري: ج ٣: ٤٧٩.

(٢) الأعمال الكاملة: ٤: ٦٧٢.

نتائج البحث

- (١) أسس الجواهري لمدرسة أدبية جديدة يمكن تسميتها بمدرسة الصعاليك في القرن العشرين؛ لينصب من نفسه سلطان من لا سلطان له، متأسيا في ذلك بـ (عروة بن الورد) معلنا بذلك عن انبلاج فجر جديد في عالم الشعر، وهو الشعر الثوري المتسم بالخروج على كل ألوان الظلم الاجتماعي على وفق أيدلوجية لا تؤمن بالمصانعة والمداهنة، بذلك يعد الجواهري فيلسوفا ثائرا في ثوب شاعر.
- (٢) إنه فرض على ذاته فلسفة فيثاغورية رواقية مصهورة في بوتقة فكرية مليئة بالتناقضات كثيرة الحسنات كثيرة السيئات يحذو حذو بابك الخرمي وزعماء القرامطة في قود الجيش، ولما أخفق آوى إلى العظماء بسلاح الشعر وسحر العبقرية.
- (٣) إنه قرين المتنبّي وشبهه إلا أنهما يفترقان ويختلفان في نهاية المطاف بأن الجواهري عاش للناس وثار وتمرد من أجلهم، بينما قاتل المتنبّي من أجل ذاته المتضخمة (الأنا) فظل أسير كبريائه يخوض معاركه بمفرده بعيدا عن الناس في آمالها وطموحاتها.
- (٤) إن حب الناس العارم للجواهري قد أكسبه حصانة منعت الأيدي الأثيمة من أن تتال منه؛ لأن الحكام كانوا يخافون الناس ويحسبون حسابا لتأثير الجواهري عليهم.
- (٥) شعر الجواهري في المعارك الوطنية والاجتماعية كان أقوى الأسلحة في تلك المعارك، يسري في الجماهير كالنار، فيصير من أهم عوامل اندفاعات الجماهير وتحولاتها في الشارع مجابهة للطغيان والطغاة إلى موجات تقتحم السدود والأسوار فصرخات الجواهري في وجوه قوى الشر كانت تتناغم تماما مع أوتار قلوب المضطهدين.

٨) تكشف قصائد الجواهري عن أشكال أخرى من الموت داخل الحياة، الموت الروحي والقيمي والرمزي المترتب على نكوص البطل ففشله إيذان بتداعي الرسالة وضياع آمال الجموع.

فناء الأنا في الذات الجماعية في معارك الجواهري مع الطغاة

مصادر البحث

- ١) الأعمال الشعرية الكاملة. محمد مهدي الجواهري، دار الحرية للطباعة والنشر، بغداد، ٢٠٠١.
- ٢) تجليات الرقص بين رؤيتين شعريتين، د.نادية غازي العزاوي، بحث مقدم إلى اتحاد الأدباء والكتاب العراقيين، ضمن أعمال مهرجان الجواهري، الدورة الأولى في ٢٤ / ٧ / ٢٠٠٣، بغداد.
- ٣) الجديد في الأدب العربي. حنا فاخوري، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٦٧.
- ٤) الجواهري ذكريات أيامي. فاروق اليقيلي، دار الفارابي، بيروت، ١٩٩٤.
- ٥) الجواهري وسيمفونية الرحيل. د.خيال محمد مهدي الجواهري، منشورات وزارة الثقافة السورية، دمشق، ١٩٩٩.
- ٦) دراسات نقدية. فريق من الكتاب العراقيين، إشراف هادي العلوي، مطبعة النعمان، النجف، ١٩٦٩.
- ٧) ديوان الجواهري. طبعة وزارة الإعلام العراقية، بغداد، ١٩٧٣.
- ٨) في رحاب الجواهري. صباح المندلاوي، منشورات دار علاء الدين، ط١، دمشق، ٢٠٠٠.
- ٩) مجلة الآداب. العدد ٢، بيروت، ١٩٥٥.
- ١٠) مجلة الثقافة الجديدة. العدد ٤٦، كانون الأول، ١٩٧٧.
- ١١) مجلة العربي. العدد ٢٢٥، ٤، آب، ١٩٩٧.
- ١٢) مذكراتي. محمد مهدي الجواهري، دار المنتظر، بيروت، لبنان، ١٩٩٩.
- ١٣) مجلة الكلمة. العدد ٢، آذار، بغداد، ١٩٧٢.

١٥) لماذا هجوت الجواهري. خلدون جاويد، دار الأضواء، بيروت، لبنان، ط٢٠٠٣، ١.



